الفصل الخامس

الأسس التربوية للمكتبة المدرسية

* مكان المكتبة المدرسية من حياة المدرسة

أولا - الموقع:

لابد للمكتبة المدرسية من أن تقع فى داخل المدرسة أى لايكفى أن ترسل مجموعات من مكان مركزى إلى المدارس المجاورة كما يحدث فى حالة المكتبات العامة التى تنشىء قسما لخدمة المدارس ترسل منه مجموعات الكتب فى دورات متتابعة للمدارس. فهذا النشاط من جانب المكتبات العامة قد يساعد المكتبات المدرسية ولكنه لايغنى عنها ولايبرر ضعف مستوياتها وكذلك لايكفى أن تقام مكتبة مدرسية فى إحدى المدراس لكى تقدم المجموعات للمدارس المجاورة فتستغنى تلك المدارس عن المكتبات بين جدرانها. فإن كفلنا لكل مدرسة مكتبة فلابد إذن للمكتبة فى المدرسة من أن تكون بقدر الإمكان بعيدة عن الضوضاء، بعيدة عن الممرات ويستحسن أن تكون فى دور علوى بعيدة عن الملاعب وعن فناء المدرسة. ومنعاً لإحساس الطلبة ببعدها أكثر من اللازم يفضل أول الأدوار العلوية. وإبعاد المكتبة عن الدور الأرضى أدعى لصيانتها من كثرة تردد الطلبة عليها لأغراض غير جدية، كما أن وضعها فى نهاية أحد

obeikandi.com

الممرات وليس فى وسطه يحميها من كثرة مرور الطلبة أمامها مما يسبب الضوضاء ـ ولذلك يفضل أن تكون فى إحدى نهايات المبنى بحيث لايمر أمامها إلا من يقصدها.

ثانياً ـ البيئة المدرسية

لابد للمكتبة من أن تلائم بين نفسها وبين ظروف البيئة المدرسية التى تنشأ من أجلها، فأولا تلائم بين نفسها ونوع المدرسة هل هى مدرسة ابتدائية أم إعدادية أم ثانوية. وإذا كانت من مدارس التعليم الفنى فإن مجال تخصصها يؤثر تأثيراً مباشراً على المكتبة. مدرسة صناعية أم زراعية أم تجارية؟ تلى ذلك اختلافات السن بين المراحل الدراسية المختلفة، والفروق بين الجنسين التى تكون أقل وضوحاً فى بادىء الأمر ثم تزداد كلما تقدم التلاميذ والتلميذات فى دور المراهقة.

اعتبارات السن تؤثر فى اختيار الأثاث من حيث الحجم والارتفاع وتؤثر فى مستوى الكتب وتؤثر فى أنواع النشاط المكتبى ـ كاستعمال الوسائل السمعية والبصرية أو تخصيص «ساعة للقصة» للأطفال الصغار. كما أن مستويات التدريب على استعمال المكتبة تختلف أيضاً باختلاف السن. أما عن الاختلافات بين الجنسين فهذه ليست قاصرة على ميول القراءة بالنسبة لكل منهما بل تتعداها إلى تفاوت نسبة الإقبال على القراءة عموما فى بعض الأعمار حين يتساوى عمر النشء من الجنسين.

ثالثاً ـ التنظيم الداخلى للمدرسة

المدرسة التى تجعل دراسة المكتبات بها فى حصص داخلة فى الجدول الدراسى تختلف فى نظرتها للمكتبة، وفى حجم المكتبة، وفى مستوى

المكتبى عن مدرسة, تجعل التدريب يشغل ساعة من النشاط المدرسى الإضافى.

قد يعترض بعض رجال التربية على تخصيص ساعة فى الأسبوع مثلا لكل فصل ليتوجه فيها إلى المكتبة، وحجتهم فى ذلك هو أن تقييد الطفل بأى قيد يقلل من اهتمامه بالشىء الذى قيد من أجله، أو يزهده فيه أو يبغضه إليه. وإلزام الطفل بقراءة كتاب بالذات فى ساعة بالذات قد ينفره من ذلك الكتاب. ولكن ردنا على هذا الاعتراض هو أن الطفل قد يشهد مباراة فى كرة القدم فى وقت لم يحدده هو، أى وقت المباراة. وكذلك قد يذهب الإنسان فى رحلة لقضاء وقت الفراغ ويضطر لأن ينظم الرحلة وفقاً للمواعيد المحددة من قبل للقطارات أو السيارات التى تنقله، وهذا لايفسد الرحلة إن كانت عناصر الاستمتاع بها مكفولة من بادىء الأمر. إذن ليس الأساس هو تحديد موعد أو عدم تحديده، ولكن الأساس هو وجود العناصر المشوقة التى تكفل الاستحواذ على اهتمام الطفل شأنها شأن المباراة أو شأن الرحلة.

لو تركت القراءة لما بعد الوقت المدرسى فهذا قد يجبر المدرسة على تخصيص الأيام القصيرة فقط فى الأسبوع وقد لاتكفى هذه الأيام لإعطاء الفرصة لكل تلميذ للتردد على المكتبة. وسوف تصطدم من الناحية التنظيمية البحتة برغبة الطلبة فى العودة إلى منازلهم، أو بإحساس الطالب بانتهاء اليوم المدرسى فيكون نفوره من دخول المكتبة فى هذا الوقت الحر أكثر من نفوره من دخولها فى أثناء اليوم الدراسى.

رابعاً ـ طرق التدريس

تؤثر طرق التدريس على المكتبة من حيث مدى ونوع الخدمات التى تؤديها ومن حيث مقدار احتياج الطالب إلى المكتبة. فالمدرسة التى تتبع مثلا طريقة المشروع بكل ما تستتبعه هذ الطريقة من جهود جماعية من الطلبة وتعاون بنيهم وبين المكتبة للوصول إلى المعلومات والحقائق التى يريدونها استكمالا لأجزاء مشروعهم، أو يريدون بها مواجهة موقف يوجههم نحوه المشروع نفسه ـ مدرسة هذا شأنها تختلف عن مدرسة تتبع طرق تدريس أخرى تؤكد فيها الفروق بين الطلبة مثل طريقة دالتون Dalton إذ أن هذه الطريقة تؤكد إلى حد بعيد الفروق الفردية بين الطلبة ـ تؤكد البحث الفردى والأدوات الفردية فى المعمل وفى المكتبة حين يعطى كل طالب تكليفاً خاصاً يتفق مع قدرته على البحث. وهاتان الطريقتان تخالفان أيضاً ما يمكن أن تتبعه مدرسة أخرى من القراءات المقررة assigned reading التى يكلف بها الأساتذة طلبتهم، فيتجه الطالب إلى المكتبة ليجد أن الكتب المحتوية على هذه القراءات قد حجزت بالمكتبة فى نسخ مكررة حتى ينتفع بها جميع الطلبة فى وقت واحد فى استعارات داخلية. هذه القراءات المطلوبة أو المقررة تصحبها عادة قراءات جانبية Collateral reading تكفل توسيع مجال الدراسات المقررة وتعطى للطالب المتفوق الفرصة لكى يقرأ وفق إمكانياته.

هذه وسائل دراسية ينعكس أثرها على المكتبة ومجموعاتها. فمثلا فى هذا النوع الأخير بالذات (القراءات المقررة) لابد من تكرار النسخ إلى حد يكفى لاحتياجات الطلبة عندما يطلب إليهم قراءة أجزاء بالذات من كتب

بالذات. هذا بينما طريقة المشروع project method تلزمها مجموعات مراجع قوية لأن الطالب يبحث عن أجزاء حقائق صغيرة قد لا يمكن للمدرس أن يتنبأ بها من بادىء الأمر (أى عند تخطيط فكرة المشروع نفسه). كما أن طريقة دالتون وطريقة «العقد» contract method تؤكدان تنوع مجموعات الكتب فى المكتبة حتى تتفق مع التكليفات الفردية للتلاميذ. أى أننا نعتبر الطالب باحثاً ـ ولو على مستوى بسيط.

وليس ما ذكرناه الآن حصراً لطرق التدريس بل مجرد أمثلة نتبين منها مقدار اختلاف التطبيقات فى المدارس المختلفة مع الإشارة إلى انعكاسات هذا كله على المكتبة المدرسية. ولابد لنا الآن من عرض موجز لبعض مبادىء التربية الحديثة التى تؤثر فى تشكيل الخطط الدراسية وفى إعداد المناهج وفى اختيار طرق التدريس. وكل من هذه الأسس الثلاثة (الخطة والمنهج والطريقة) تؤثر بدورها على المكتبة ـ طالما أن المكتبة اختارت أن تؤدى وظيفتها كاملة فى حياة المدرسة.

* بعض مبادىء التربية الحديثة

١ ـ الحياة المدرسية أصبحت تدور حول الطفل وليس حول الكتاب المدرسى لأن هذا الأخير لم يكن يخرج عن مجرد مجموعة من المعلومات لابد لجميع الطلبة من استيعابها بدون النظر لأن اعتبار آخر سواء فى ميول الطفل أو استعداداته. أما الآن فقد أصبحت المدرسة تفترض فى كل طالب عادى أن تكون لديه رغبة كافية فى الاستطلاع تسمح له بأن ينزع من تلقاء نفسه إلى كسب المعلومات والمهارات التى يشهدها فى الكبار المحيطين به، وتدفعه إلى تقليد زملائه ومحاولة أن يكون فى مستوى

متكافئ معهم إن لم يفقهم. إذن فالمدرسة تحاول أن تثير فيه الرغبة فى المعرفة وبعد ذلك تقدم له المعلومات فى اللحظة السيكولوجية المناسبة ـ فتنتقل بذلك العملية التربوية من تعليم إلى تعلم، من تلقين إلى بحث.

٢ ـ كان من نتيجة ذلك سقوط الكتاب المدرسى بمعناه القديم. فأصبح الكتاب المدرسى الآن وسيلة من وسائل تعرف مجال دراسى، أى أن المعلومات التى يحتويها الكتاب المدرسى لم تعد تقصد لذاتها بنفس القوة التى كان الطالب يطالب فيها باستيعاب ذلك الكتاب وهو كاره. وإنما أصبح الكتاب المدرسى يشير إلى بدء الطريق لتعرف موضوع أو مادة ما. أصبح يحتوى على إرشادات لمصادر أكبر وأكثر لمن يريد متابعة القراءة فى الموضوعات التى يتناولها ـ أصبح يحتوى على بيبليوجرافيات. أصبح الهدف منه هو أن يوجه الطالب لإكمال معلوماته فى المجال الذى يتعرض له. أصبح يناقش المسائل ثم يدعها بدون أن يغلب رأياً على رأى لكى يتابع الطالب برغبته البحث عنها. أصبح «أشبه بخريطة ترسم مجالا من مجالات المعرفة لمن يريد التجول فيه».

٣ ـ ومع ذلك نشهد فى الاتجاهات التربوية سواء الحديثة أو القديمة وجود نهاية صغرى من المعلومات والمهارات اللازمة للحياة الصالحة. فمثلا هناك نهاية صغرى فى الحساب وفى الجغرافيا والتاريخ القومى والمقدرة اللغوية والخلق الاجتماعى والسلوك الفردى. وكذلك هناك نهايات صغرى من المهارات اليدوية والجسمية والتذوق الفنى لابد للفرد من ان يستوعبها أو ينميها. كما أنه لابد له فى نهاية حياته الدراسية من أن تتوفر لديه معلومات متخصصة تيسر له سبيل العيش والتكسب، فنجد

الدراسات المهنية تأتى فى نهاية المطاف. هذه النهايات الصغرى من المعلومات لم تتأثر كثيراً كمبدأ وإن كانت محتوياتها قد اختلفت من وقت لآخر كما اختلفت طرق الوصول إلى هذه المحتويات وفقاً لطرق التعليم المدرسى. فمثلا الطريقة القديمة كانت الحفظ ثم الاختبار الشفوى أو الامتحان التحريرى لنستدل على مقدار استيعاب الطالب لما درس، بينما الآن قد يصل الطالب إلى نفس المعلومات بإحدى طرق التدريس غير المباشرة التى ذكرناها آنفاً ـ حيث لايكتفى بأن يقرأ بل يستقرىء ويجرب ويشاهد ويقارن ويتعلم.

٤ ـ ولذلك كان المبدأ الرابع هو توكيد التجربة الشخصية. أى أنه لكى يستوعب الفرد حقيقة من الحقائق لابد له من أن يلمس هذه الحقيقة لكى تثبت. ومن هنا كانت الرحلات والمختبرات والمعامل والنماذج. وإعطاء أكبر فرصة للطالب لكى يصل إلى مانريد تعليمه إياه عن طريق المشاهدة والاستقراء الشخصى. وهذا يرتبط ارتباطاً كبيراً باستخدام وسائل الإيضاح فى التعليم المدرسى. بعض وسائل الإيضاح تعطينا تجربة كاملة عن طريق تعرف الشىء الأصلى نفسه، بينما الأفلام والفانوس السحرى والصور والكتب والصحف تعطى تجارب الغير ـ ممن سبقونا. أى أن مجموعات المكتبة تعطى خير بديل للحقيقة الأصلية ـ إذن فعلى هذا الأساس يصبح الكتاب والفليم... إلخ تجارب فى الدرجة الثانية من الجدة.

٥ ـ إضعاف أو إزالة الحواجز بين المواد الدراسية. فبدلا من أن نخلق للطالب تقسيمات افتراضية مفتعلة فنجعل حصة للحساب تتبعها حصة للغة العربية تتبعها ثالثة للطبيعة بدون أى رابطة بين هذه الانتقالات الفكرية

المفاجئة ـ بدلا من هذا نجد أن طريقة مثل طريقة المشروع (التى تصمم الوحدة الدراسية فيها على أساس ترابط جميع المواد حول فكرة أساسية واجدة ـ حول مشروع يتطلب التنفيذ... يتطلب الجمع والبناء، بكل تفصيلات هذا الجمع وهذا البناء) تقلل من الفروق بين أجزاء المعرفة، تساعد الطالب على أن يستوعب التجارب والمعلومات ككل متكامل شأنها شأن الحياة نفسها.

فكرة المشروع تحفز الطلبة نحو المساهمة فى التنفيذ ـ وأثناء التنفيذ توحى بأفكار جانبية فينهمك الطلبة حيالها فى مجهود إيجابى بناء فتكون النتيجة أن يدخل له مدرس كل مادة مايريد تعليمه إياه بشكل غير مباشر حين تأتى الفرصة المواتية بالضبط.

٦ ـ توجيه التربية نحو غايات اجتماعية. فمثلا عند تعليم الطالب مادة الجغرافيا لم تعد برامجها قاصرة على مجرد أسماء الدول وعواصمها أو مجرد أسماء الجبال والأنهار والخلجان.. إلخ بل بدلا من هذا أصبح الاهتمام يتركز حول حياة الشعوب وصفاتها وكل مايتعلق بمظاهر حياتها الاجتماعية والاقتصادية. فإن درس الحاصلات أو الصناعات فإنما يدرسها بوصفها مصادر الثروة لأفراد المجتمع ـ يدرس المعنى الاقتصادى للصناعة، والمعنى الاجتماعى للاقتصاد.

والمثل يمكن أن يقال عن دراسة التاريخ حيث تؤكد برامجه بشكل أكبر دور الشعوب فى صنع التاريخ وليس فقط تلك القوائم الجافة من الملوك والأسر والقادة والمعارك. ثم ظهرت مواد تتصل بهذه الغاية اتصالا مباشراً مثل مواد «التربية الوطنية» «والأخلاق» «والمجتمع». هنا يتفتح

ذهن الطالب للمجتمع من بعيد ـ من غير أن يمارس حياة اجتماعية أو صلات اجتماعية. فإذا خطونا خطوة أبعد من ذلك وجدنا أن نفس هذا الاتجاه الاجتماعى هو الذى يملى تكوين الجماعات المدرسية والفرق الرياضية ولجان الأطفال وحكومة الطلبة Student Government فمثلا طلبة يكونون لجنة النظافة، وطلبة يكونون «بوليس المرور» لتنظيم دوريات تشرف على عبور زملائهم الصغار الشوارع المحيطة بالمدرسة أثناء مجيئهم أو انصرافهم يومياً، وطلبة يقومون ببعض الأعمال المكتبية فى النشاط المدرسى... إلخ.

٧ ـ إدخال عنصر اللذة فى عملية التعلم. الأساس السيكولوجى فى هذا هو أن التجربة التى ترتبط فى نفسية الطفل بارتباطات عاطفية سارة تبقى وتثبت ويكون استعدادها لأن تتكرر أكثر من استعداد التجربة غير السارة. فإذا ارتبط تعلم فكرة بعملية اللعب (بكل مايجد الطفل فيها من إثارة ولذة) إذن فقد ثبتت الفكرة. ومن هنا كان التعلم عن طريق اللعب فى رياض الأطفال على وجه الخصوص. ومن هنا أيضاً نجد كل أنواع التعليم التى تدخل فيها الأشغال اليدوية أو معارض الصور أو فلاحة البساتين وغيرها من أنواع النشاط السارة التى يمكن ربط المعلومات بها بسهولة.

التجربة التى تسبب ألما تنسى بسهولة أكثر من التجربة السارة (أو لعلها لاتنسى تماما وإنما ترسب فى اللاشعور ـ وهذا أسوأ من النسيان) أما التجربة السارة فإن نزوعها لأن تتكرر يساعد على تكوين عادة ـ يساعد على ثبوتها خلال التكرار، وثبوت المعلومات أو المهارات هدف من أهداف التعليم.

٨ ـ توكيد الفروق الفردية. وهذا الاهتمام بمعاملة الطلبة كأفراد وليس كجماعات يبدو بشكل أكبر كلما ابتعدنا عن الطفولة المبكرة فى اتجاه المراهقة. هذا المبدأ يدخل تحته كل ما نشاهده فى محيط التربية من اختبارات الشخصية واختبارات الذكاء وقياس القدرات المختلفة على الاستيعاب أو الفهم بإجابة أسئلة تتعلق بنص مقروء.... وهكذا.

وهذا الاتجاه أو المبدأ يتصل أكثر من غيره بعمل المكتبة لأن أى مكتبة تحاول أولا أن تستشف اتجاهات أو ميول أو مقدرات الفرد وأن تعامله كفرد.

المكتبة لكى تستجيب للخطة الدراسية ولطرق التدريس التى تبنى على أساس المبادئ التربوية التى ذكرناها، تحتاج إلى أنواع من النشاط يقوم بها أمين المكتبة، ويلائم فيها بين مجموعات مكتبته وأثاثها وخدماتها وبين احتياجات مدرسته.

ومن هذا نجد أن أمين المكتبة لا يحتاج فقط إلى أن يكون دارسا لمواد علم المكتبات بل طالما أن مكتبته مكتبة مدرسية إذن فلابد له من دراسة ولو مبسطة لأصول التربية وعلم النفس التربوى ـ ولو اضطررنا أن نفرض هذه الدراسة فى أحد برامج تعليم الكبار (كالدراسات التدريبية مثلا) على أمناء المكتبات المدرسية ممن لم يسبق لهم دراسات فى التربوية.

ماهى إذن الوظائف التى تقوم بها المكتبة فى محيط المدرسة؟

* وظائف المكتبة بالمدرسة

أولا: تزويد القراء بالمدرسة بالكتب التى تلزمهم

أى الحصول من أجلهم على هذه الكتب سواء عن طريق الشراء أو

بأى وسيلة أخرى. والكتب التى تحصل عليها المكتبة للمدرسة تقع فى نطاق أغراض رئيسية ثلاثة:

(أ) كتب تعليمية.

(ب) كتب معلومات.

(حـ) كتب للتسلية.

كانت التربية القديمة تنكر على المكتبة المدرسية أن يوجد بها النوع الأخير (كتب التسلية)، وكانت كتب الفئة الثانية قاصرة على عدد قليل من المراجع. ولكن مع تطورات التربية من جهة، وتطورات أقسام الأطفال فى المكتبة العامة من جهة أخرى نجد تطورات مماثلة فى مكتبات المدارس. أى أن المكتبات العامة قادت المكتبات المدرسية بل وقادت أيضا المكتبات الجامعية فى بعض إجراءات التنظيم والإدارة (وليس هنا مجال تفصيلها) ـ قادتهما فى اتجاهات تجريبية جديدة كان من بينها تجارب خاصة بالقراءة لأغراض التسلية فى أقسام الأطفال بالمكتبة العامة.

المكتبة المدرسية تحصل على الكتب أولا للاحتياجات الدراسية ولذلك فهى تنتظر من هيئة التدريس أن تشترك فى اقتراح وتقييم الكتب المتصلة بموضوعات الدراسة. وتنتظر منهم أيضاً مشاركة فعلية فى الاهتمام بتعرف كتب المواد الدراسية التى تحويها المكتبة. وتعرف كتب الأطفال بوجه عام سواء كانت دراسية أو غير دراسية. ولكن هذه المشاركة من جانب الأساتذة لاتعفى أمين المكتبة من أن يتتبع بانتظام تطورات البرامج الدراسية فى مدرسته ولا تعفيه من ضرورة معرفة أدب الأطفال بفروعه المختلفة وكل مايجد عليه بانتظام ـ ونقصد بأدب الأطفال كل ما يكتب لهم من قصص وشعر ومسرحيات ورحلات وسير..... إلخ.

بعض الأساتذة قد يقترح باستمرار شراء كتب فى مادته أكثر مما يفعل غيره فى موادهم، وهنا لابد للمكتبى من أن تكون استجاباته لمطالب المواد المختلفة موجهة نحو خلق نوع من التوازن بينها بحيث لا تنمو مجموعات مادة على حساب المواد الأخرى. هذا الاتجاه نحو توازن المجموعات تقرره المجموعات الحالية فى المكتبة، والتغييرات الجديدة فى البرامج، والتغييرات المنتظرة فى البرامج، واحتياجات الأساتذة، وإن أمكن مقترحات الطلبة.

ثانيا: إعداد المجموعات لأغراض خدمة سريعة وفعالة

وذلك عن طريق كل الإجراءات المتخصصة التى يقوم بها المكتبى قبل أى شخص آخر فى المدرسة لتدبير الكتب للقارىء: كالفهرسة والتصنيف وحجز الكتب عند الضرورة ووضع نظام إعارة صالح ونظام استرداد صالح ونظام غرامات إن أمكن فى حدود المقدرة المالية للطالب. كل هذه إجراءات تنظيمية لمجموعة الكتب بحيث يسهل استعمالها من جانب القارىء.

إذا صادف القارىء أنظمة معقدة فى الاستعارة فإنه ينفر من المكتبة ولايهمه إطلاقا ما تسوقه المكتبة من حجج فى تبرير هذا التعقيد مع ما يستتبعه من بطء ـ كأن يقال له بأن الكتاب يسجل فى دفتر خاص بالمستعيرين قبل تسليمه للقارىء (وهذا فى حد ذاته إجراء خاطىء) ـ ولايهمه بأن يقال له بأن الكتاب الذى طلبه وينتظر رده من عند مستعير آخر تعذر استرداده (والملوم هنا هو المكتبة أيضاً). وإنما يريد القارىء الصغير إرضاء حاجاته هو وبسرعة. إذن فلتكن أنظمة الإعارة سريعة، ولتكن إجراءاتها بسيطة، وليكن نظام الاسترداد حازما، وليكن نظام الحجز محكما.

الطالب يريد هذا إن كان لنا أن نؤمن مركز المكتبة وسمعتها بين الطلبة لأننا نريد للطالب أن يؤمن بما فى المكتبة من نظام إن كنا نطالبه بأن يحترم ما تفرضه المكتبة من نظام. ثم إن غرس عادة القراءة فى سن مبكرة يتصل بالصعوبة أو بالسهولة التى يصادفها الطالب فى تعامله مع المكتبة ومع الأفراد الموجودين بالمكتبة. فبطاقات الفهارس المعقدة معناها تنفير التلميذ، والرفوف المقفلة بدون مبرر معناها تنفيره أيضاً، كما أن طلب الضمانات غير المعقولة قبل السماح له بالاستعارة ينفره كذلك.

ثالثا ـ إرشاد القراءة فى المكتبة

هذا الإرشاد بالنسبة لمكتبة المدرسة تندمج فيه عمليات قد يكون من الأيسر فصلها كل منها عن الأخرى فى المكتبة العامة. هذه العمليات فى المكتبة المدرسية هى خدمة المراجع وإرشاد القراء والقراءة العلاجية (أى حل المشاكل الفردية خلال القراءة).

توجيه المكتبة المدرسية للقراء الصغار يدخل فيه مساعدتهم على اختيار الكتب التى يقرأونها، ويدخل فيه اقتراح كتاب محل آخر لايوجد بالمكتبة، ويدخل فيه خدمة المراجع للأساتذة والتلاميذ، والمعاونة فى التجميع البيبليوجرافى، واختبار مجموعات الكتب التى ترد من المكتبة العامة إلى المكتبة المدرسية لاستبعاد ماقد يرى مكتبى المدرسة استبعاده، ولكى يتعرف على بقية المجموعة حتى يمكنه أن يستخدم معرفته بها فى توجيه الطلبة إليها طوال مدة وجودها بالمدرسة ـ طالما أن اختيارها للطالب يتفق مع احتياجات موجودة فعلا أو متوقعة.

رابعاً ـ تدريب القراء على استعمال المكتبة

من حيث الأهمية يمكن أن نقول إن هذه الوظيفة تحقق الهدف الأول الذى تبتغيه المكتبة المدرسية من التأثير فى تكوين الطالب وهو تعليمه استعمال الكتب وغيرها من المواد المكتبية لكى تمده بكل مايحتاج إليه من معلومات أو إجابات سواء فى مشاكله الدراسية أو مشاكله العامة. وهذا يمثل الغاية الأولى من غايات المكتبة المدرسية. فأنت مثلا إن لم تعرف قيادة السيارة فإن سيارات العالم أجمع تصبح غير ذات فائدة بالنسبة لك إلا خلال شخص آخر. ونفس الفكرة يمكن تطبيقها على دنيا المطبوعات ـ كيف يجد طريقه مستقبلا خلالها؟ لابد من تعليمه وتدريبه. تشبيهنا هذا يتفق مع احتياجه للكتب خلال رحلته فى دنيا المعرفة.

هل يجد الناشئ بعد اكتماله طريقه بين الكتب بنفسه أم خلال شخص آخر؟ وإلى أى حد يمكنه أن يتصرف من تلقاء نفسه فى مرحلة مبكرة؟ إلى أى حد يمكن تعليمه أن يتصرف من تلقاء نفسه؟ معرفة الناشئ بالكتب وباستعمالها تيسر له أن ينتقل فى حياته الفكرية بسرعة يعتمد فيها على نفسه وعلى معرفته كيف يطوع الكتب لأغراض حياته.

الطالب الذى يتخرج من المدرسة إما أن ينسى ماحصله وإما أن تستمر لديه القدرة على زيادة ما حصله... والتنمية قد تكون موجهة وقد تكون اعتباطية. وأنت قد تعجز عن التقدم فى بعض المراحل إلا إذا وجدت من يفتح أمامك طريق المعرفة أو يشير إليها فى أدوات قد تبدو عادية بالنسبة له ولكنها غير عادية بالنسبة لك.

التدريب على استعمال المكتبة تختلف مستوياته وعناصره ولابد من إعداد طويل قبل بدء التدريب وخاصة إذا كان منظما فى دروس بالذات. وذلك لأن التدريب غير المنظم أى التدريب الذى يأتى عرضاً فى مواقف بحث فعلية قد يكون أثبت أثراً بالنسبة للقارىء. الطالب الذى يسأل عن معنى كلمة لأنه يحتاج إليها فعلا فيدربه المكتبى على استعمال القاموس بشكل عرضى غير مقصود لذاته (أى وفق مايقتضيه الموقف فحسب) ـ هذا الطالب تكون نتيجة تدريبه أثبت فى ذهنه مما لو أعطى هذا التدريب فى حصة. أى أن الاحتياج العقلى يثبت الاستيعاب ـ يثبت أثر العملية التعليمية. أما حين ينظم التدريب فى «حصص» فلابد من إعداد تدريبات خاصة تشابه المواقف الفعلية وتثير رغبة تشبه الرغبة الفعلية فى الوصول إلى حلول لهذه المسائل التدريبية المفتعلة.

خامساً ـ خلق الجو الملائم لنمو عادة القراءة

ويكون هذا بأن تهيىء المكتبة جواً يرتبط فى ذهن الطالب بارتباطات عاطفية سارة كتزيين المكتبة بشكل معقول يتميز بالذوق والبساطة. وأن يكون الضوء كافياً والتهوية كافية والمقاعد مريحة والمكتبة غير مزدحمة والكتب بقدر الإمكان فى حالة جيدة. وقد أملى نفس الاتجاه على انتاج الكتب للأطفال معايير خاصة ـ معايير جمالية aesthetic من حيث الطباعة والتصوير والتجليد والألوان... إلخ. ولما كان التكرار ضرورياً لتكوين عادة، والعادة المبكرة أثبت من العادة المتأخرة، وتكوين العادة تحت إشراف وتوجيه يمنع أى التواءات عرضية أثناء التكوين ـ إذن لابد للطفل لكى يصبح قارئا ممتازاً من أن يبدأ فى سن مبكرة وتحت إشراف معقول

وفى الظروف الوجدانية والحسية السارة التى تشجعه على التكرار بدلا من جو الفصل الدراسى الجاف الذى قد لاينجح فى خلق القارىء. ولذلك كان لابد من أن يشعر الطالب بالفرق بين الفصل والمكتبة.

سادساً ـ توجيه التلميذ نحو غايات اجتماعية

فالمكتبة تعطى فرصة كبيرة جداً لتنفيذ هذا الهدف التعليمى. يمكن وضع المكتبة بين الجمعيات المدرسية بمنتهى البساطة وبمنتهى النجاح، فتنشىء جماعة من أصدقاء المكتبة ـ وتقوم هذه الجماعة بأعمال الإعارة واسترداد الكتب وملاحظة قاعات المطالعة ومراقبة أعمال التقطيع أو السرقة. ويمكن أن تجمع المكتبة بين الطالب المتفوق والطالب المتأخر وتعهد إلى الأول بمساعدة وإرشاد الأخير وهذه عملية اجتماعية.

ويمكن أن تشتمل المكتبة فى تصميمها على حجرة مناقشة وبحث. الغرض من هذه الحجرة تعليمى وهو إعطاء الفرصة لمجموعات من الطلبة أو من المدرسين أو للمكتبى مع أى من هاتين المجموعتين لكى يبحثوا موضوعا معاً بالقرب من مصادره الخاصة به. وهذه الحجرة يمكن استخدامها لأغراض ثقافية واجتماعية لانهاية لها كاجتماعات لجان الطلبة. ويمكن للمكتبى أن ينفذ إلى هذا النشاط، وأن يدخل كتبه إلى مجالاته خلال وجود هذه الحجرة فى المكتبة. كما يمكنه أيضاً أن يكون الجماعات أو اللجان كيفما شاء وكيفما سمحت السلطات المدرسية بذلك: فينشىء لجنة للمعارض، ولجنة اتصال بين مكتبة المدرسة والمكتبة العامة... إلخ. كل هذه تنظيمات يمكن أن يربط فيها المكتبى بين خلق الروح الاجتماعى بين الطلبة وبين استغلال نشاط هؤلاء الطلبة

لصالح المكتبة، وبين تشجيع استعمالهم لمجموعات الكتب والمطبوعات بها خلال هذه الروابط الجديدة بينهم وبينها.

سابعاً ـ إظهار الكتب كوسيلة لقضاء وقت الفراغ

هذا النشاط من جانب المكتبة يرتبط به كل مايتعلق بالمطالعات الصيفية وكل مايرتبط باعتبار المكتبة إحدى وسائل النشاط المدرسى، كأن يقصد بعض الطلبة إلى المكتبة فى ساعات الهوايات التى يتجه فيها زملاؤهم إلى التصوير الشمسى أو فلاحة البساتين أو الأشغال اليدوية... إلخ. وضع المكتبة ضمن هذا النشاط الاختيارى فى هذه الساعة بالذات يبرز القراءة كنشاط مدرسى فى وقت الفراغ. وربط مجموعات المكتبة بالهوايات يمكن تشجيعه من جانب المكتبة بالإكثار من الكتب التى تتناول هذه الهوايات: كتب عن الألعاب الرياضية، كتب تعالج الرسم والفنون الجميلة، كتب عن طرق تكوين الجمعيات وتنظيم أعمالها، كتب عن الأشغال اليدوية، كتب عن زراعة الحدائق وكتب عن طوابع البريد... إلخ.

بعض المكتبات المدرسية تقدم أيضاً «ساعة القصة» شأنها فى ذلك شأن المكتبات العامة. طبعا القصص موجودة فى التعليم المدرسى فى المراحل المبكرة. ولكن القصص فى المدرسة قد تخدم غايات أكثر من مجرد توجيه القارىء نحو إحداث أثر تهذيبى خاص بدون أن يذهب المدرس إلى أبعد من ذلك أى بدون أن يجعل همه هو حمل الطالب على أن يقرأ القصة التى استمع إليها. ولكن ساعة القصة فى المكتبة لاتقف عند الإلقاء لأن الغرض منها ليس اللغة وليس التربية الأخلاقية (وإن

كانت هذه النتائج تحدث عرضا) وإنما الغرض هو حمل الطالب على أن يقرأ.

الطفل الذى استمع إلى القصة فأعجبته يرغب فى إعادة الشعور بنفس السرور أو اللذة اللذين شعر بهما عند استماعه إليها. وهو يستعيد هذا الشعور عن طريق قراءتها وهذا يختلف عما يفعله الكبار لأن الناضج والمراهق قد يطلبان إليك ألا تقص عليهما قصة قبل أن يقرآها حتى لاتفسد استمتاعهما بها عند قراءتهما لها.

* الصلة بين المكتبة المدرسية والمدرسين

لكى تتمكن المكتبة المدرسية من أداء هذه الوظائف سوف تحتاج إلى تعاون وثيق بين المدرس والمكتبى. والتعاون بينهما لايمكن أن يوصف بأنه معاونة المكتبى للمدرس أو معاونة المدرس للمكتبى. أى أن النشاط لايأتى من جانب ثم يشترك فيه الجانب الآخر مجرد اشتراك ـ فواجب الاهتمام بأداء المكتبة لوظائفها ليس قاصراً على المكتبى وحده ثم يتنازل المدرس فيعاونه فيه. وإنما التعاون بينهما يقوم على أساس الشعور بمسئولية متساوية نحو توجيه الطلبة إلى المكتبة وتنشيط عملية القراءة باعتبارها أولى العمليات التعليمية بالمدرسة (وخاصة فى المراحل الدراسية المبكرة).

١ ـ فالمدرس عليه أن يعرف محتويات المكتبة واحتمالاتها وأن يهتم بأن يكون له دور فى تشكيل وتنمية هذه المحتويات. والمكتبى عليه أن يعرف برامج المدرسة وما تتطلبه من موارد مكتبية. ولكن هذا لايكفى فالمكتبى عليه أن يتولى أولا بأول تعريف هيئة التدريس بكل مايجد فى المكتبة من مطبوعات. وكل مايجد فى محيط المكتبة المدرسية من

كتالوجات أو فهارس أو قوائم يصدرها ناشرون أو تصدرها هيئات تعليمية تؤلف أو تنشر كتباً مدرسية أو كتبا تتصل بالحياة المدرسية.

والمدرس عليه أن يبلغ المكتبى أولا بأول عن تطورات تنفيذه البرنامج، وتكليفاته للطلبة، ومايحتاجه من مطبوعات من المكتبة فى كل مرحلة، وفى حالة قلة النسخ وكثرة عدد الطلبة قد يقوم المكتبى بحجز هذه النسخ فى المكتبة أى منع استعارتها خارج المكتبة ليقرأها الطلبة داخل المكتبة. ولاضير فى أن يسترشد المدرس بأمين المكتبة ليقترح عليه بعض الكتب التى لم يكن المدرس يعلم بوجودها بالمكتبة أو التى لم يكن يعرفها من قبل. هذه المقترحات من جانب المكتبى تجعل فى الإمكان تنويع مطالعات التلاميذ للموضوع الواحد.

٢ ـ ولكن قلما يلجأ التلميذ إلى قراءات جانبية متصلة بالبرامج إلا إذا وجهه إليها الأستاذ أو كلفه بها. ولايكفى إطلاقا أن يذكر المدرس إمكان حصول التلاميذ على كتب فى موضوع كذا لو أنهم توجهوا إلى المكتبة بدون ذكر أسماء هذه الكتب وذكر الصفحات أو الفصول التى يريد حملهم على قراءتها. ولايكفى أن يوجههم المدرس إلى قراءة كتاب أو استعارته بينما هو لم يختبر ذلك الكتاب بنفسه ولم يطلع عليه بنفسه. بل الأفضل أن يشير إشارات محددة لكتب أو لمواد مكتبية أخرى سبق له الاطلاع عليها ـ لأن خلق الاتصال بين الطلبة والمكتبة يكاد يكون جزءاً من مادة الدرس نفسه فى حاجه إلى تحضير سابق، وفى حاجة لموالاته بالتعديل أو بالإضافة كلما ألقى ذلك الدرس.

والمدرس الذى لايقرأ قلما ينجح فى حمل الطلبة على أن يقرأوا. وقلما ينجح فى إقناعهم بأنه يعرف كتبهم إلا إذا جعل إشارته لهذه الكتب واقعية ومحددة.

٣ ـ نجد من المدرسين من قد لايلجأ إلى المكتبة إلا لكتب محدودة يتكرر طلبه عليها فى كل سنة بدون تغيير. وواجب المكتبى فى هذه الحالة هو أن يعرفه بما لديه سواء بالاتصال الشخصى أو بإرسال قوائم مطبوعة أو منسوخة على أن يضمن وصولها إلى أعضاء هيئة التدريس. ومما لاشك فيه أن الاتصال الشخصى أبعد أثراً فى تعريف المدرسين بالمكتبة ـ وحين يتطوع أمين المكتبة بمساعدات تلقائية يربط فيها بين مجموعاته وبين برامج مدرس مادة بالذات فإن مثل هذه المثابرة قادرة على كسب المدرس فى النهاية لا لشخصه ولكن لأن كسبه معناه كسب عدد من التلاميذ.

٤ ـ إرضاء المدرس فى المكتبة يجب ألا يكون على حساب التلاميذ فمثلا أمين المكتبة الذى يمتنع عن استرداد كتاب تأخر من الطالب أو يتباطأ فى المطالبة به لمجرد أن من يحتاج إليه تلميذ، إنما يفقد بذلك مجموعة من التلاميذ وليس تلميذاً واحداً. والمدرس الذى يجعل من المكتبة ذات الأجواء السارة المريحة مكاناً مفضلا له وينشغل فى الحديث الطويل مع أمين المكتبة أو مع مدرس آخر يفسد القراءة على الطلبة. واستعمال المكتبة لأغراض اجتماعات اللجان بدون وجود حجرة اجتماعات بها وإنما تقفل قاعة المطالعة طوال مدة الاجتماع، أو تحويل المكتبة إلى مقر لجنة امتحانات فتظل بذلك معطلة عن أداء وظيفتها

الأصلية ـ هذه وغيرها من الاستعمالات غير العادية للمكتبة تتلف كل أثر طيب تكون قد نجحت فى إحداثه من قبل. أى أنه لابد لنا من المحافظة أولا على قدسية حق التلميذ فى مكتبة المدرسة.

٥ ـ لابد للمكتبى من أن يتمتع فى المدرسة باعتبار يتكافأ مع اعتبار المدرسة للمعلمين، واعتبار الطلبة لهم واعتبارهم بين أنفسهم. ولم يكن أمين المكتبة المتفرغ (من غير المدرسين) يشعر فى الماضى بمثل هذا الاعتبار. ولكن مع تطور دراسة علم المكتبات على مستوى عال ـ وتطور مستويات مهنة المكتبيين أنفسهم تبعاً لذلك، زال الفارق الذى يعزى إليه الكثير من تعطيل أثر المكتبة المدرسة فى حياة المدرسة فما مضى.

***